منظمة التحرير الفلسطينية مرشحة للتلاشي لولا الكفاح المسلح الفلسطيني الذي انطلق بقوة بعد الهزيمة ، عبر مؤسسات عسكرية فدائية جماهيرية استقطبت اوسع القطاعات الشعبية والوطنية الفلسطينية ؛ فازدادت اهمية منظمة التحرير وتعززت مكانتها في الحياة السياسية الفلسطينية .

تحت هول النتائج المادية والعاطفية لهذه الهزيمة ، توقف الوعي الكياني الفلسطيني على الذات الخاصة ، كما غابت الدعوات الكيانيه حتى لدى منظريها الاوائل . وعندما كان يروج لبعض تلك الدعوات في ظل هذا المناخ السائد ، كانت تتم محاصرتها وعزلها ومقاطعة مروجيها واقامة الحجر الوطني على اصحابها . الا ان هذه العينة للوعي الكياني لم يصحبها توقف في تطور البناء الكياني الفلسطيني واكتسابه المزيد من المشروعية العربية .

ويرجع عدم الانسجام هذا في نمو الوعي الكياني مع وتيرة البناء الكياني الفلسطيني ذاته الى عدة اسباب من أهمها :

١ ـ حداثة سن المؤسسة الكيانية الفلسطينية .

٢ ـ فقر التراث الكياني الاستقلالي للفلسطينيين .

٣ ـ التمسك بحل صحيح لمعادلة العروبة والفلسطينية .

٤ ـ الانتصار لمعركة عروبة الارض والحيلولة دون تهويدها .

٥ ـ ضخامة برنامج التحرير الفلسطيني وصعوبة انجازه في المدى المنظور .

في ظل هذه الخلفية اللاكيانية للجماهير الفلسطينية في الارض المحتلة وخارجها ، وفي ظل السياسات اللااستقلالية لمنظمات وقيادة المقاومة الفلسطينية ، عملت دولة العدو والاردن وقيادة المقاومة ـ كما يقول المؤلف ـ كل بحسب ذرائعه وفهمه المستقل ، على وأد بعض الدعوات الكيانية التي تم ترويجها في الضفة الغربية من قبل بعض ابنائها ، وعملوا معاً أيضا على منع تبلور قيادة سياسية محلية لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة .

الا أن أحداث أيلول (كما يحلو للمؤلف ان يسميها) في الاردن عام ١٩٧٠ ، قد ايقظت في الفلسطينيين كل مشاعر التفرد والوحدانية والغربة والاستلاب . فقد كانت ردة الفعل حادة لدى فلسطينيي الضفة الغربية على وجه الخصوص . فنمت فوقها تيارات انفصالية (أيضا كما يحلو للمؤلف ان يسميها) خطرة ، لتأسيس دولة فلسطينية مستقلة عن الاردن ، تمت مواجهتها بمعارضة صارمة من المقاومة وحكمت بموتها مبكرا ، بالاضافة الى معارضة الاردن واسرائيل لهذه الدعوات . الا ان مجازر ايلول وسياسة الاردن الاقليمية كانت قد تركت آثارا عميقة في النفس الفلسطينية وآثارا فعلية على عملية التطور الكياني الفلسطيني وأثرت في عملية تشكل هذا الوعي بالكيانية . فبعد مجازر الاحراش عام ١٩٧١ أخذت مسألة تمثيل فلسطينيي الضفة الغربية تظهر بحدة على سطح العلاقات بين الاردن والمقاومة ، وتطبع كل مراحل وأشكال الصراع بينهما خلال الفترة اللاحقة .

طرح الاردن في سوق التداول السياسي مشروعه لمملكة عربية متحدة بين الضفة الغربية والضفة الشرقية كمحاولة عملية لتجريد منظمة التحرير الفلسطينية من صفتها التمثيلية ، ولقطع الطريق على المحاولات الانفصالية الداعية الى إقامة دولة فلسطينية ؛ فدعت المقاومة عقب مجازر الاحراش والاغوار صيف عام ١٩٧١ الى التكافؤ الكياني او إعادة تجديد وحدة الضفتين . وهذا برأي المؤلف مؤشر على درجة متقدمة نسبيا في عملية تراكم الوعي الكياني الفلسطيني برمته . وقد تأكد هذا التوجه الى التكافؤ الكياني لدى قيادة المنظمة رسميا في البيان السياسي الذي اقره المجلس الوطني في دورته الحادية عشرة ، والتي عقدت في القاهرة في ١٩٧٢/١/٦ . وجاءت حرب تشرين عام ١٩٧٣ لتدفن مشروع المملكة المتحدة دون ان يحظى بتأييد او دعم اي من الاتجاهات الفلسطينية في الضفة او خارجها .

اكتمال الوعي الكياني ١٩٧٣ـ١٩٧٧

ويختتم المؤلف بحثه بمحاولة تحديد ابرز المؤشرات الدالة على اكتمال الوعي الكياني . فمع نتائج حرب تشرين عام ١٩٧٣ إنقضت مرحلة من مراحل تطور الوعي الكياني ، لتبدأ مرحلة أخرى من اهم مراحل النهوض الوطني الفلسطيني . فعبر سنوات هذه المرحلة تحقق من الانجازات الكيانية ما